بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، وأتباعهم الأخيار صلاة باقية بقاء الليل والنهار،

أيها العلماء الأجلاء،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

وأهلاً بكم في هذا الوطن العربي الأردني، وبمن وفد علينا من أبناء الأمة إلى بلدهم هذا، ومن هم معنا من أهل المجمع؛ أعضاء مجلسه وأعضاء الشرف والمؤازرين، ومن هم من العاملين فيه خدمة للعربية وحباً بالأمة: رسالة وعروبة وحضوراً في مشهد التاريخ الإنساني الطويل.

وأهلاً بالحضور الكريم الذي يعزّز من الرؤية التي نراها قريبة منّا، وكأنها دموع أهلنا وحسراتهم على حال الأمة وتراجع بهجة العربية على ألسن الناس.

أيها الأعزاء،

"**أطلّ من وجعي على وجعي**" ومن العربية عليها، ومن هذا المنبر على من يحترمونها ويقدّسونها كما تستحقّ ...

أطل عليها، وعليكم، وأنا مثل النابغة، فيّ وجلٌ، ويساورني قلق كلّ ساعة من ليل ومن نهار، ذلك أن اختيار الشيوخ الزملاء لي في موقعي هذا يحمّلني أمانة مترامية الوجد وبعيدة الغايات، حتى رأيتني في شعب بوّان، أراقب الأمة

كلّها وهي تحاول الخروج من غربة الوجه واليد واللسان، حتى لـــو كـــان فـــي الشِّعب شجرٌ عجيب:

لهـــا ثَمَـــرٌ تُشِـــيرُ إلَيْـــكَ مِنْـــهُ بأشْـــــرِبَةٍ وَقَفْـــــنَ بِـــــلا أوَانِ

خَطَرَ ببالي أن أنشد القصيدة كلها، لكنني أقابل الصورة العجيبة هذه، ببساطة ما يحتاجه العربي:

ولـــو كانـــت دمشـــقَ ثنـــى عَنَـــاني لبِيْـــقُ الثَّـــردِ صـــينيُّ الجِفـــانِ

فمن يأخذنا إلى دمشق اليوم،

ومن يفتح الدروب إلى بغداد،

والدرب في العربية طريق في الجبل إلى بلاد الروم ...

(رمى الدربَ بالجُرد الجيادِ...) كما يقول جدّكم،

ومن أوصد الأبواب إلى بغداد، وعندنا أنها عاصمتنا العباسيّة، إلا إذا كان جدكم ما يزال ينشد عن سيف الدولة:

"**وَسِوى الرّومِ خَلفَ ظَهرِكَ رُومٌ**"،

فهل علينا أن نعرّب الروم حتى نعرّب العرب، وقد فعلها بنـــو العبـــاس قبلنـــا، فعليهم منّا السلام.

أيها الضيوف والأهل والأصدقاء،

بي وجلٌ –كما قلت– ومنذ سنوات وهذا المجمع العربي المتميز ينسج رؤيته من حرير العربية، ويخوض على مدى أربعين سنة دروساً في الصـــبر مثـــل دروس سيدنا أيوب، ويحاور المسؤولين والحكومات لحماية العربية، ويعيد علينا

شيخنا الرئيس عبدالكريم خليفة الآية الكريمة ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللّه الْمُسْتَعَان**﴾، على أنّ صبر أيوب قليل عليها، فالعربية تريد دوماً أكثر: تريد شغف يوسف، وأحلامه وحنينه وبراعته في التأويل، لا أقل. تريد أن نشغفها حباً، لا أن نضع في جيدها حبلاً من مَسد، لقد حملت هذي اللغة إمبراطوريّة بأكملها على أكتافها، وما عدنا نحمّلُها الآن سوى الحطب.

أيها الأعزاء،

ما فعلناه ونفعله في المجمع هو من "**أضعف الإيمان**" بحقّ اللغة وما حملت: قرآناً وشعراً وفلسفة وعلوماً، فقد غاب عنا المال/ الوسيلة للنهوض عبر الإعلام والدراسات والانفتاح القومي، والصلة بالقوى الفاعلة في الحياة، وقد أنجزنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً...

- صدر قانون المجمع الجديد ...
- وقانون حماية اللغة العربية ...
- وتم –إلى حدّ بعيد– إنجاز امتحان الكفاية ...

وعند الحكومة نظامان...

الأول: لامتحان الكفاية على مستوى الدولة، بما في ذلك مركز دائم له.

والثاني: لمتابعة تنفيذ قانون حماية اللغة العربية، وفيها لجنة من مجلس المجمع تتولى ذلك، ولجان مساعدة، وفيه مشروع إذاعة مجمع اللغة العربية التي بدأ المجمع تنفيذ مرحلتها الأولى: الترخيص، والمكان، والأجهزة ثم ننتقل إلى البث أرضاً وفضاء حتى نصل إلى الأمة بنموذج أردني مَجمعيّ، نموذجٍ سيعبر باللغة إلى الناس من أبواب الجمال، جمالِ صوت عبدالباسط، وبهجة صوت محمد

رفعت، وإيقاع شوقي بصوت أم كلثوم، وبالشعراء وكلّ من فهم الفصيحة وأحسّها، وسيبدأ الأردنيّون صباحاتهم بلا لحن أو ابتذال، وسيتذكرون حين يأتي المساء معنى عروبتهم. ستكون إذاعة توحدنا وتجمعنا حول أوجاعنا وحول ما كدنا ننساه. إنّها أول الطريق التي تأخذنا إلى حلب ونخرج بها من شعب بوّان إلى مجلس سيف الدولة لعنا نلحق بصاحبكم الكندي وهو ينشد في مجلسه:

تُفيتُ اللّيالي كُلَّ شيءٍ أخَذْتَهُ وَهُنّ لِمَا يأخُذْنَ منكَ غَوَارِمُ
إذا كانَ ما تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضارِعاً مَضَى قبلَ أنْ تُلقى علَيهِ الجَوازِمُ

أنّى لنا ذلك من غير عزم وحسم وصبر!! لكننا بدأنا وستكون للمجمع أبواب جديدة نطل منها بالروح والرسالة والرؤية، وننادي من مئذنة الجامع الذي يظللنا أنَ حيّ على الفلاح وعلى اللسان العربي. وفي خُطط المجمع أيضاً، بالإضافة إلى خطط لجنة النهوض باللغة العربية، التي يستضيف المجمع أهلها الكرام، حتّى نتابع فحص حال العربية في سائر المستويات، ونشرع أبوابنا للعمل مع الجهات ذات الاختصاص التي نمدّ لبعضها يد الشكر والتقدير خاصة في رئاسة الوزراء والتربية والتعليم وديوان الخدمة المدنية والإعلام، ونخصّ الجامعة الأردنية بالشكر والمودة، والقيادات التي راجعت قانون الحماية وبعثت بملاحظاتها إلينا، وهذه الملاحظات ثروة قانونية وفكرية، وسيكون بين أهم أوراقنا في مرحلة التنفيذ التي توشك على الانطلاق، وفي إطارها مسابقة مجمعيّة سنوية لأفضل كتاب مؤلف، ولأفضل كتاب مترجم، وجائزة تقديرية لمؤسسة أو شخص قدّم للعربية خدمة أو إنجازاً متميزَين، وسنفتح باب تعليم الخط مع المتميزين فيه من عرب ومسلمين، ونعدّ جائزة للخطّاطين، ولنا في حدود الحلم الممكن أن يُكتب المصحف الكريم في هذا المجمع، وأن نقدّم للأمة

مصحفَ مجمع اللغة العربية لأننا من هنا نبدأ، من ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، وسنعلن في مطلع العام القادم عن هذه الجوائز، وعن جوائز منفصلة للفتيان بين الثانية عشرة والخامسة عشرة في الوطن كله حول شعار "في حبّ العربية"، وسنفتح لهم مجال التنافس في الفنون من خط، وتشكيل، ورسم حاسوبي ... وخلاف ذلك ممّا هم يعرفون.

نحن نرى العمل على أشده في التخطيط لتوسعة المجمع حتى نؤمن لأهله ما يليق من مناخ وخدمة، وفي صياغة الأنظمة الجديدة، والحرص على صدور المجلات والدراسات المتميزة، وفي فحص المصطلحات، والتعريب، والترجمة، واستئناف العمل في صندوق الاستثمار، واستقطاب الدّعم ممّن لديهم الروح والرؤية التي للمجمع، أما من غابت عنهم الروح فلسنا نراهم حاضرين في المشهد منذ أعوام تقادمت وسنين.

قال الإمام علي كرم الله وجهه لأبي ذرّ كما ورد في نهج البلاغة:

"يا أبا ذرّ،

إن الناس خافوك على دُنياهم وخفتهم على دينك ..."

تلك هي المسافة الفاصلة بين حدّين لا يلتقيان ...

أيها الجمع الكريم،

مشروعنا صعب، لكن بدويّ الجبل قال:

دروبُ العُلَى للسالكينَ عَديدةٌ وأقربُها للغايةِ المُوحشُ الوَعرُ

ونحن في زمان لا ينشد أحد في سهوبه وجباله ووديانه رائعة الطائي في البطولة والشهادة:

وقد كانَ فَوْتُ المَوْتِ سَهْلاً فردَّهُ إليه الحِفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونفسٌ تعافُ العارَ حتى كأنَّه هو الكفرُ يومَ الروعِ أوْ دونَه الكفرُ
فأثبتَ في مستنقعِ الموتِ رجلَه وقال لها منْ تحت أخمصكِ الحشرُ

أين هم فتيان تلك السهوب: طارق، وخالد، وعبدالرحمن الداخل، والحسين بن علي، وصلاح الدين، والظاهر بيبرس، ويوسف العظمة، وعزّ الدين القسام، وعبدالقادر الحسيني، وكايد المفلح العبيدات، وفراس العجلوني ...

فأيّ رؤية نقدّم للناس لعلّهم إليها وهم بين الذبح والهجرة القسريّة، واللجوء الحزين موزّعون ...

لا تعيدوا لنا ذكرى الأندلس: أعني نهايات الوطن المفقود في الهجرة والترحيل، فقد أرهقنا الوجع على ما حلّ بها، فهل صار رد الفعل هذا منهجاً قومياً لمن يضيعون الأوطان ثم على أطلالها ينتحبون!!

على كلِّ عودٍ صاحبٌ وخليلُ وفي كلِّ بيت رنّة وعويلُ

وفي حضرة العربية هذا الصباح سلام خاص، على ضريح خالد في حمص، خالد الذي لا يفرّق سيفه بين روميّ وكافر ومرتدّ ومحتلّ، وعلى ضريح أبي العلاء في معرّة النعمان، وقد ذبح القتلة الضريحين أيضاً باسم الإسلام، وعلى مجلس سيف الدولة وقلعته في حلب، وعلى عسكر المعتصم يوم خرجوا إلى عمورية وقد "**تَضجَتْ جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التينِ والعِنَبِ**" وتطول الرحلة ويشتدّ

الهجير، حتى إذا جئتَه وجدته كما قال الكنديّ: "**وَجُبْتُ هَجِيراً يَتْرُكُ المَاءَ صَادِيَا**".

لكن المرحلة تمضي ولو زادت على رحلة ابن بطوطة في التعب والمكان والزمان، وذات زمان نردُ الماء "زَرقاً جِمامُه"، ونضع "**عِصِيَّ الراحل المُتَخَيِّمِ**" ونتذكر أن حزب اللغة العربية قليل، والذين يلتحقون بعبّاد الصّنم ظناً منهم أن بعد ذلك يُطمعَون كُثرٌ، لا يعرفون كم يضيّعون على أنفسهم من فكر وإحساس وحياة، ويفضّلون أخرى باردة المعنى، مكسورة الإيقاع.

نحن هنا، والخلاص رؤية شاملة لحال الأمة، الأمة التي استباح أعداؤها أرضها وكرامة أبنائها زماناً بعد زمان، وهم الذين يكتبون ويتحدثون عن "وحشيّة الإسلام" لا عن فئة مارقة على الدّين، ويصنعون منابر للاستبداد، ويصادرون مشروعاتنا القومية الوطنية في الحرية والعدل والمساواة والكرامة، ثم إلى عروق وعينا يتسرّبون إعلاماً وعامية، حتى النخبة لم تسلم من الانبهار والانحراف لأنّ بنيتها هشّة، ولا تعرف كم هو متعدّد هذا التاريخ، سياسياً ومذهبياً وعرقياً، ولا تعرف أنّ الجامع الوحيد لكل اختلاف فيه كانت اللغة، التي تتسع لو أراد الناس لما هو أبعد من ثنائية التطرف والاعتدال، والإرهاب والاستبداد، تتّسع لأن نفكر فينا وفي سوانا أكثر ممّا يعرف من يجهلونها، فمن يكتب للناس بفصيحة جميلة بيان الفزع والخوف على الأمة من الإمبراطوريات الجديدة الخاوية الرّوح التي تخطط وتقسّم وتحذف، وتزيح وتثبّت، ونحن بعد الصمت والتبعية تائهون، والناس بين خائف، وغافل، ومدّع، وهؤلاء لا في العير ولا في النفير يُعدّون.

لقد صمد المجمع أربعين سنة كانت في معظمها خريفاً على الأمّة كلّها، فهل مشروع العودة إلى الحريّة والعدل والوحدة ممكن بعد!؟

سؤال نطرحه ونحن ربّما كنّا في "الساعة الأخيرة" من زمان التاريخ الإنساني كلّه: فهل نخرج منها كما بشّر سبحانه وتعالى الصابرين بالفرج بعد الشدة، أو هل تنأى الأمة نازحة نحو الأندلس التي أراد الداخل العودة منها إلى دمشق عابراً أوروبا فتحاً وعدلاً، والنصّ في النفح واضح وعجيب.

كان الماركسيون يقولون: يا عمال العالم اتحدوا...

فهل من حقنا أن ننادي:

"**يا أهل العربية اتحدوا...!!**" في وجه التيه والعاميّة والأميّة والخراب قبل أن تنتحر العربية على أعتاب مجامعنا وجامعاتنا حزناً علينا لأننا كنا عن وجهها غافلين! وبين الوجل في أول الحديث، والرضا عوالم من الصراع والأضداد، فالدنيا عرب وروم، وعلى كل ما أنجزنا نحن خائفون.

أقول لنفسي كل صباح وأنا أجتاز باب المجمع:

بَكى صَاحِبي لمّا رأى الدَّرْبَ دُونه وأيقنَ أنا لاحقان بقصيرا
فَقُلتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّمَا نحاوِلْ مُلْكاً أوْ نُموتَ فَنُعْذَرَا

أجتاز باب المجمع وتلحّ على الفكرة:

أنَّنا أمة اختلفنا على كل شيء إلا اللغة،

اختلفنا قَبلياً ومذهبياً وفلسفياً وسياسياً وكلامياً وفقهياً، بل وشعرياً.

ما يزال يلاحقنا الاختلاف، ولا شيء نجتمع عليه، لا لغةَ عاليةً تفكر فينا. ربما علينا أن نعيدَها ناراً نأنس حولها، كما أنِست حولها تناقضاتنا عبر التاريخ: ﴿**إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾ (صدق الله العظيم) (سورة طه، آية ١٠).

لذلك سأقرأ عليكم من كلام شيخ يظنّه المستبدون شيخاً للمتطرفين وحدهم من غير أن يقرؤوه، من ابن تيمية في كتابه "**اقتضاء الصراط المستقيم**" حيث قال كلاماً لا يختلف حوله اثنان مهما كانت آراؤهم وتوجهاتهم حول الكاتب والكتاب والعالم والتاريخ،

يقول: "**إنّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون**".

ويقول: "**واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً...**".

لقد قدّم ابن تيمية دور اللغة في العقل والخلق على دورها في الدين.

"**ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغة أهلها رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلها فارسية، وأهل المغرب، ولغة أهلها بربرية، عوّدوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت العربية على أهل هذه الأرض، مسلمِهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديماً**".

ومن ابن تيمية إلى أبي تمام عن خراسان:

أقول للعربية:

رعَته الفيافي بعد ما كان حِقبةً رعَته وماء الروض ينهلُّ ساكبُه
وقلقَلَ نأيٌ من خراسان جأشَها فقلتُ اطمئنّي أنضرُ الروضِ عازِبُه

ومن أبي تمّام، إلى أحد الخوارج وهو يصف أصحابه المقاتلين، فاللغة والخيل صنوان:

وهم الأسودُ لدى العرين بسالةً ومن الخشوع كأنّهم أحبارُ
يمضونَ قد كسروا الجفونَ إلى الوغى متبسّمينَ وفيهم استبشارُ

أقول هذا، وأتمنى أن ينتهي بي الأمر مثل صلاح الدين، يوم قالت أمّه عند ضريحه "سأضع سيفك في كفنك وسيعرفك الله فأنت سيفه"،

أن تقول لي أمّي: "سأضع الحرف العربيّ في كفنك، وسيعرفك الله لأنّك فهمتَ "اقرأ باسم ربّكْ".

وأكرر الترحيب والسلام، وأحيّي هذا الوطن وأهله الطّيبين وقيادته وجامعاته ومدارسه وفقراءه وجنده وشهداءه الذين حول العربية ينتشرون ويصعدون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

الأستاذ الدكتور خالد الكركي